ونزكرما كلف نزكه اما اولاً فلانه نعلم قطعاً من حال المصر على كفره الشديد
الشكيمة في عتوه ونفوره انه ليس كذلك بحسب الحقيقة واما ثانياً
فلانه لو كان كذلك لما قامت عليه الحجة لان الغافل الذي غفلته واجبة
كيف يفقه الخطاب فيجب ان يحمل تلك الالفاظ على انها مجاز عن حاله وصفة
للقلوب تتعسر عندها الطاعة وتتسهل المعصية وهي ما اراده تعالى
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه وهذا هو ما اعتمده
الزمخشري والبيضاوي وغيرهما من محققي الفريقين فعود الزمخشري
واصحابه الى اسناد هذه الاشيا الى الله من الاسناد المجازي الى احد متعلقات
الفعل **وعود** البيضاوي واصحابه الى ان معنى الاضلال خلق الضلال
عود من كل منهم الى مركز المذهب الكلامي وايثار الصيانة له على صيانة
الكتاب العزيز والا فحمل اسناد هذه الصفة التي اعتمدها محققوا
الفريقين الى الباري تعالى على حقيقته بمعنى اسناد ايجادها اليه ما هو لدعو
العقل وفي نفس الامر ممكن **اما على** مذهب الاشاعرة
فظاهر واما على مذهب المعتزلة فلانه لا جهة لقبح خلق هذه الصفة
لانها لا تمنع عن فعل ما كلف به المكلف وانما يتعسر عندها وقد قالوا انظارها
مثل الفتن التي يعلم الله اضلال المكلف عندها وبها يفسر بعض هذه
الالفاظ ايضاً في بعض المواضع ومنها زيادة التكليف وزيادة المشقة
وزيادة شهوة القبايح وتبعية ابليس التي هي اعظم فتنة بل ومن ذلك
تكليف من علم الله انه يكفر ولا عذر لهم عن هذه الاشيا الا تمكن المكلف
مما كلفه وذلك حاصل هنا وكذلك تاويلهم لهذه الاية تارة بسبب
الالطاف وتارة بسبب الالجا كما تكرر للزمخشري **اما سلب**
الالطاف فمعناه ان الله سبحانه لم يلطف بالمكلف لانه لا لطف له في المقدور
هكذا يصرح به في الكشاف وغيره وهو الجاري على قواعدهم لانه لو كان
للكافر لطف في المقدور لم يجز ان لا يفعله **قلت** شعري
كيف يصح ان يطلق على ان لا يفعل المحال لفظ الاضلال ونحوه وهل يصح
ان يقال لزيد انه اضل عمرواً لانه لم يشرب البحر الذي منعه عن بلوغ مقصده
ويقا في الساحل متحيراً وكذلك لم تنسف عنه الجبال وبرد عنوانات الهوى حتى يرى

الكعبة فيصلي اليها عياناً فيقال اضله عن القبلة وتركه يتخبط في ظنونه
وكذلك في ترك الالجا كيف يقال للسلطان القاهر انه اضل زيد الذي احرم
بالحج من الجحفة وام مكة واضله من زيارة بيت المقدس حيث لم يامر بسحبه
على وجهه حتى يبلغ به المسجد الاقصى ثم ان هذه الاشيا ذكرت على انها
فعلت فيهم على جهة العقوبة لهم كما قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا
قليلاً وغيرها من الآيات فكيف العقوبة بترك المحال قال في الكشاف عند
قوله تعالى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي من تشا تضل بالمحنة
الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول
الثابت وجعل ذلك اضلالاً من الله لان محنته لما كانت سبباً لان ضلوا
واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انتهى **فيقال**
له اما ان قدرت مفعول تشا الاضلال والهداية عاد المحذور لانه لا يشا
الاضلال ولم ينفعك تاويل الفعل من تضل وتهدي وان قدرت مفعوليهما
لفظ المحنة ان فرضنا صحة ذلك او حملتهما عليها كما حملت لفظ الفعلين
عليه والزمخشري لا يرضاه كما ذكره في امر نا مترفيها مع ان الدليل المعنوي
هناك اقوى من اللفظي بخلاف هنا فلو سلمنا صحته كان حاصل المعنى ان هي
الا محنتك تمتحن بها من تشا امتحانه وتهدي بها من تشا امتحانه لان
المراد بالاضلال والهداية المقدرين المحنة **وتوضيحه**
ان كل مجاز لا بد له من حقيقة لو تكلم بها الصح الكلام انما يفوت الغرض
الذي عدل الى المجاز لاجله **مثاله** قول المتنبي نحن قوم ملجن في زي ناس
فوق طير لها شخوص الجمال يقول في حقيقته نحن قوم اشبهت هيئتهم
هيئة الجن فوق جمال اشبهت هيئتها هيئة الطير ومن قال في بعض صور المجاز
لا حقيقة له كما زعمه الشيخ عبد القاهر وناصره التفتازاني وغيره فليس
بتحقيق وانما يكون التركيب فيه تشبيهات متداخلة فينظر الى صورة
المركب فلا يجد له حقيقة بتلك الصورة وهذا ليس بلازم انما اللازم ان يعود
الى الحقيقة اخر الامر مثاله شابت لمة الليل فان تشبهت سواد الليل بالشعر
ثم انبت له لمة ثم شبهت بياض الصبح بالشيب ثم اطلقت المركب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)